السراج الوهاج

في

تضعيف حديث السبع لمسلم بن الحجاج

إعداد

فاضل بن خلف الحمادة الرَّقِّي

بسم الله الرحمن الرحيم

مُقَدِّمَة

حمداً لمن خلق الخلق فهداهم لعبادة الغفور التواب، وبعث الرسل وأنزل عليهم الكتاب، واصطفى محمداً ﷺ من خير الأنساب، واطلع على قلوب العباد فاختار له الأحباب، والصلاة والسلام على من أمر بالكف عن سب الأصحاب، وعلى آله وصحبه الأنجاب، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم المآب.

وبعد:

فهذه وريقات يسيرة حول حديث رواه إمام الأئمة مسلم بن الحجاج، أورده في الصحيح فكان مثار الحِجاج، وأشكل على من غفل عن مناهج المحدثين فكثر اللجاج، فرغب إليَّ من له حق عليَّ في بيان مُشكله، والوقوف على مَنزعه، فأجبته لسؤله؛ راجياً من المولى التوفيق والسداد، فأقول ملخصاً:

إن رواية السب أوردها الإمام مسلم في المتابعات، لا في الأصول؛ تنبيهاً على شذوذها، واكتفى بالمنهج عن التوضيح لشهرته بين أهل عصره، فلما طال العهد وتفاوتت العقول في اكتساب الصنعة، كان لزاماً إيقاد السراج، وتوضيح المنهاج، فكان هذا البحث الموسوم بـ:

«السراج الوهاج في تضعيف حديث السب لمسلم بن الحجاج»

أهداف البحث وأهميته:

وأرمي من خلال هذه الكلمات إلى:

١- بيان أن لكل إمام منهجاً فريداً، يُعرف بالنص أو الاستقراء.

٢- التنبيه على أهمية دراسة مناهج المحدثين؛ نظرياً وعملياً.

٣- الدفاع عن كتاب تلقته الأمة بالقبول، والأمة لا تجتمع على ضلالة.

٤- البراءة ممن يقول أننا نؤتى من ثغر أهل الحديث.

٥- كثرة التشغيب على الصحيحين، فأحببت المشاركة في الدفاع عن أصولنا.

٦- لفت النظر إلى طريقة التعامل مع الكتب الحديثية، وأن منهج المحدث مفتاح كتابه.

٧- وجوب التريث في إطلاق الأحكام الحديثية والاستنباطية، وعدم التقليد فيهما لمن آتاه الله عز وجل مفاتحها.

٨- التذكير بأن مقالة: «لولا هيبة الصحيح»، لا تعني التقديس، كما أنها لا تحجر واسعاً، ولا تفتح باباً مشرعاً.

خطة البحث:

اشتمل البحث على مقدمة وتمهيد وثلاثة مباحث.

المقدمة: وفيها أسباب اختيار الموضوع، وأهميته.

التمهيد: مناهج المحدثين وأثره في نبط العلل والفهم.

المبحث الأول: دراسة رواية الإمام مسلم:

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: سرد روايات الإمام مسلم للحديث.

المطلب الثاني: دراسة تحليلية لروايات الإمام مسلم.

المطلب الثالث: تخريج الرواية من كتب السنة.

المطلب الرابع: النتيجة.

المبحث الثاني: هل قصد الإمام مسلم التعليل؟

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: كلام الإمام مسلم النظري في العلل.

المطلب الثاني: تطبيقات الإمام مسلم في بيان الشذوذ.

المطلب الثالث: النتيجة.

المبحث الثالث: تتمة في الباب ذاته:

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: الحديث الأول.

المطلب الثاني: الحديث الثاني.

المطلب الثالث: الحديث الثالث.

الخاتمة.

وأخيراً: فهذا البحث بين يدي كل منصف، فمن وجد فيه صواباً فليدع لراقمه، ومن وجد فيه خللاً فليسد النقص، ولا يبخل؛ فإن النصيحة دين.

وختاماً: فجهد البشر لا يحتمل الكمال، فما كان من سداد فمن الله العزيز الرحيم، وما كان غير ذلك فمن نفسي والشيطان الرجيم، وأستغفر الله من الزلل، والحمدلله في الآخرة والأولى، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وأصحابه أجمعين.

كتبه

فاضل بن خلف الحمادة الرَّقِّي

alraqi974@gmail.com

التمهيد

مناهج المحدثين وأثره في نبط العلل والفهم

إن مما استقر في الفهوم أن منهج المصنِّف هو البوابة التعريفية للكتاب، ومفتاح التعامل معه، ومن المعلوم أن منهج الأئمة يُعرف بطريقين:

الأول: النص: وذلك بأن ينصّ الإمامُ على المنهج المتبع في تصنيفه، ويذكر الشروط التفصيلية لما يودعه في كتابه.

الثاني: الاستقراء: وهو تتبع الجزئيات في الكتاب، وضم المسائل إلى أخواتها، والأقوال إلى نظائرها، ومن ثم تحليلها؛ للخروج بنتيجة كلية أو أغلبية.

كما أن الطريق الثاني – أي الاستقراء – هو المؤشر الحقيقي على مدى التزام صاحب الكتاب بما نصّ عليه من المنهجية العامة أو الخاصة.

وتأتي أهمية مناهج المحدثين، مما يتصل بموضوعنا، في الدفاع عن الكتب المتلقاة بالقبول، والمجمع على إمامة أصحابها، فالوقوف على منهج الإمام في كتابه، المشتمل على قواعد عامة يرجع إليها حين الإشكال فيزول.

ومن جزئيات مناهج المحدثين؛ طريقتهم في تعليل الأحاديث، فمناهجهم في إيراد الأحاديث المعلة إشارات دلالية لمن وقف على تفاصيل المنهج، فلا يسنح في خاطره: لماذا ذكر هذا الإمام حديثاً معلاً في كتابه، وقد شرط الصحة؟

من هنا تأتي أهمية منهج الإمام في العلل، وهي منارات يهتدي به أهل هذا الشأن.

ومن هؤلاء الأئمة؛ الإمام مسلم بن الحجاج؛ فله رحمه الله منهج دقيق ومتفرد في بيان العلل، كيف لا؟ وهو خريج أمير المؤمنين في الحديث الإمام البخاري رحمه الله، وعرض كتابه على إمام في العلل؛ أبي زرعة الرازي.

المبحث الأول

دراسة رواية الإمام مسلم

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: سرد روايات الإمام مسلم للحديث:

جاء في صحيح مسلم:

١- (٢٤٠٤) حدثنا يحيى بن يحيى التميمي وأبو جعفر محمد بن الصباح وعبيد الله القواريري وسريج بن يونس كلهم، عن يوسف بن الماجشون، واللفظ لابن الصباح، حدثنا يوسف أبو سلمة الماجشون، حدثنا محمد بن المنكدر، عن سعيد بن المسيب، عن عامر بن سعد بن أبي وقاص، عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ لعلي: «أنت مني بمنزلة هارون من موسى، إلا أنه لا نبي بعدي».

قال سعيد: فأحببت أن أشافه بها سعداً، فلقيت سعداً فحدثته بما حدثني عامر، فقال: أنا سمعته، فقلت: آنت سمعته؟ فوضع أصبعيه على أذنيه فقال: نعم، وإلا فاستكتا.

٢- (٢٤٠٤) وحدثنا أبو بكر بن أبي شيبة، حدثنا غندر، عن شعبة ح. وحدثنا محمد بن المثنى وابن بشار قالا: حدثنا محمد بن جعفر، حدثنا شعبة، عن الحكم، عن مصعب بن سعد بن أبي وقاص، عن سعد بن أبي وقاص قال: خلف رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب في غزوة تبوك، فقال: يا رسول الله تخلفني في النساء والصبيان! فقال: «أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى، غير أنه لا نبي بعدي».

٣- (٢٤٠٤) حدثنا عبيد الله بن معاذ، حدثنا أبي، حدثنا شعبة. في هذا الإسناد.

٤- (٢٤٠٤) حدثنا قتيبة بن سعيد ومحمد بن عباد، وتقاربا في اللفظ، قالا: حدثنا حاتم وهو ابن إسماعيل، عن بكير بن مسمار، عن عامر بن سعد بن أبي وقاص،

عن أبيه قال: أمر معاوية بن أبي سفيان سعداً فقال: ما منعك أن تسب أبا التـــراب؟ فقال: أما ما ذكرت ثلاثاً قالهن له رسول الله ﷺ، فلن أسبه، لأن تكون لي واحـــدة منهن أحب إلي من حمر النعم؛ سمعت رسول الله ﷺ يقول له، خلفه في بعض مغازيه، فقال له علي: يا رسول الله خلفتني مع النساء والصبيان! فقال له رسول الله ﷺ: «أما ترضى أن تكون مني بمنـــزلة هارون من موسى، إلا أنه لا نبوة بعدي».

وسمعته يقول يوم خيبر: «لأعطين الراية رجلاً يحـــب الله ورســـوله ويحبـــه الله ورسوله» قال: فتطاولنا لها، فقال: «ادعوا لي علياً» فأتي به أرمد، فبصـــق في عينـــه ودفع الراية إليه، ففتح الله عليه.

ولما نزلت هذه الآية: ﴿ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ ﴾ [آل عمـــران:٦١] دعـــا رسول الله ﷺ علياً وفاطمة وحسناً وحسيناً فقال: «اللهم هؤلاء أهلي».

٥- (٢٤٠٤) حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة، حدثنا غندر، عن شعبة، ح. وحدثنا محمد بن المثنى وابن بشار قالا: حدثنا محمد بن جعفر، حدثنا شعبة، عن ســـعد بـــن إبراهيم، سمعت إبراهيم بن سعد، عن سعد، عن النبي ﷺ أنه قال لعلي: «أما ترضـــى أن تكون مني بمنـــزلة هارون من موسى».

المطلب الثاني: دراسة تحليلية لروايات الإمام مسلم:

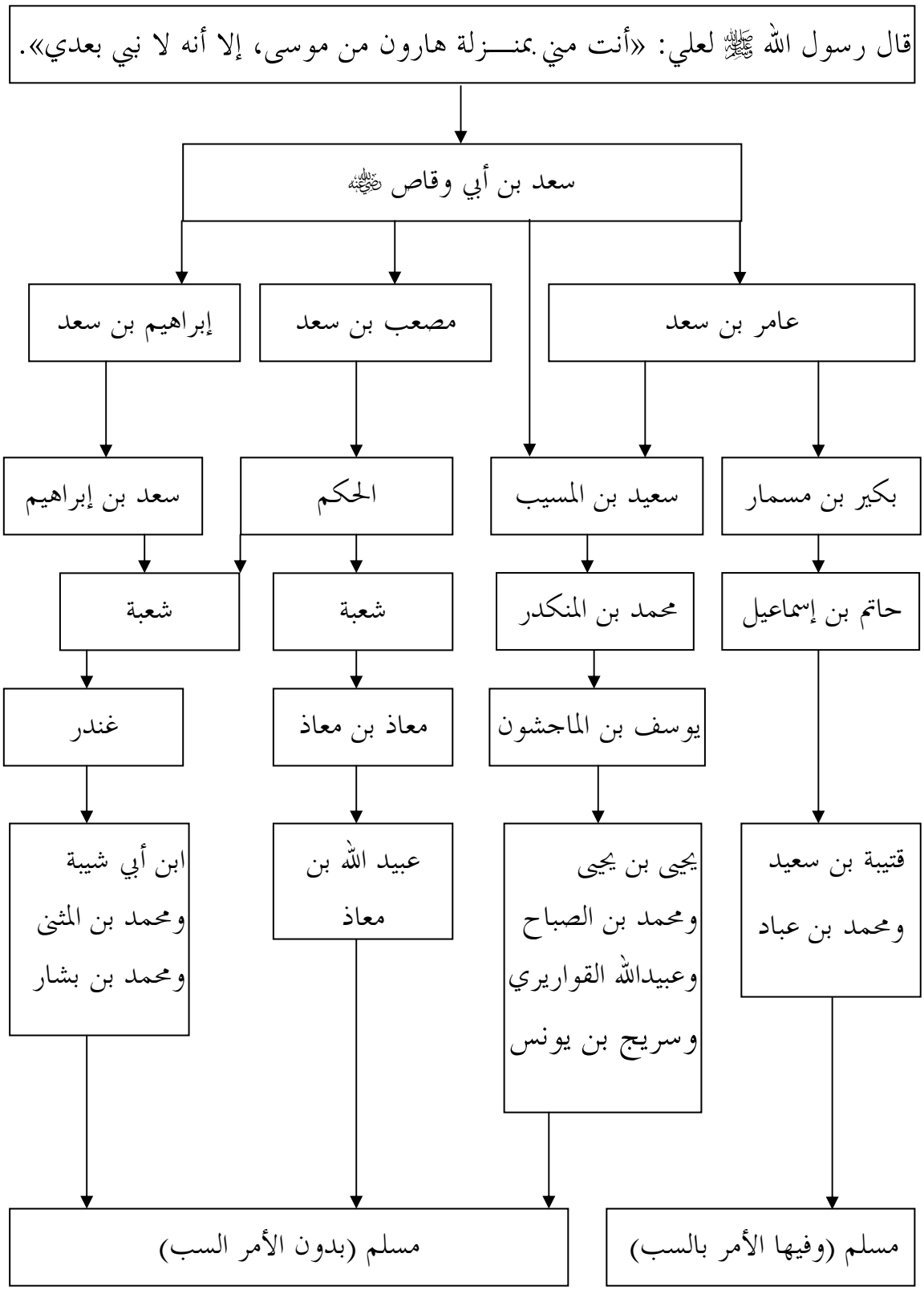

فالرواية التي جاء فيها الأمر بالسب من المتابعات، وقد جاء بها الإمام مسلم تنبيهاً على شذوذها، ذلك أن راويها بكير بن مسمار خالف من هو أولى منه؛ وهو سعيد بن المسيب، ويدل على ذلك أمران:

الأول: من خلال روايات مسلم وحسن ترتيبها، يلاحظ ما يلي:

١- روى الحديث عن سعد ﷺ: عامر، ومصعب، وإبراهيم؛ أبناء سعد ﷺ.

٢- الرواة عن مصعب وإبراهيم متفقون على عدم رواية السب.

٣- اختلف الرواة عن عامر:

أ- فرواه عن عامر بدون رواية السب سعيد بن المسيب.

ب- ورواه عن عامر برواية السب بكير بن مسمار.

والمحفوظ: رواية سعيد بن المسيب؛ لأن:

- سعيد بن المسيب أوثق من بكير بن مسمار، ويتبين ذلك من خلال:

أقوال أهل العلم في بكير بن مسمار:

قال البخاري في التاريخ الكبير ١١٥/٢: «فيه بعض النظر».

وجاء في ميزان الاعتدال في نقد الرجال ٦٨/٢:

«قال النسائي: ليس به بأس،

وقال الحاكم: استشهد به مسلم في موضعين».

قال ابن عدي في الكامل في ضعفاء الرجال ٤٢/٢: «وبكير بن مسمار لم أخرج له شيئاً ها هنا لأني لم أجد في رواياته حديثا منكراً، وأرجو أنه لا بأس به. قال الشيخ: والذي قاله البخاري هو كما قال، روى عنه أبو بكر الحنفي أحاديث لا أعرف فيها شيئاً منكراً، وعندي أنه مستقيم الحديث، فاستغنى عن ان أذكر له حديثاً لاستقامة حديثه، ولأن من روى عنه صدوق».

وقال العجلي في معرفة الثقات ١/٢٥٤: «ثقة».

وقال ابن حبان في المجروحين ١/١٩٤: «ثقة».

وقال ابن حزم في المحلى ٩/٤٧: «وبكير بن مسمار ضعيف».

وقال الذهبي في ذكر من تكلم فيه وهو موثق ص٥٥: «صالح الحديث».

وقال في المغني في الضعفاء ١/١١٥: «صدوق لينه ابن حبان البستي وابن حزم ».

وقال في الكاشف ١/٢٧٦: «فيه شيء».

وقال ابن حجر في تقريب التهذيب ص١٢٨: «صدوق».

تحليل الأقوال:

١- أما قول البخاري: «فيه بعض النظر». قلت: لأن البخاري جعل بكير الراوي عن الزهري، وبكير الراوي عن عامر واحداً؛ قال ابن حجر في تهذيب التهذيب ١/٤٣٤: «وأما البخاري فجمع بينهما في التاريخ، لكنه ما قال فيه نظر إلا عندما ذكر روايته عن الزهري، ورواية أبي بكر الحنفي عنه».

٢- قول الذهبي: «لينه ابن حبان» فيه نظر؛ لأن الذي لينه ابن حبان هو بكير بن مسمار يروي عن الزهري، وليس بكير بن مسمار هذا، وإليك نص ابن حبان في المجروحين ١/١٩٤: «بكير بن مسمار شيخ يروي عن الزهري، روى عنه أبو بكر الحنفي، وقد قيل إنه بكير الدامغاني الذي يروي عن مقاتل بن حيان، كان مرجئا يروي من الأخبار ما لا يتابع عليها، وهو قليل الحديث على مناكير فيه، ليس هو أخو مهاجر بن مسمار ذاك مدني ثقة».

٣- وقول الذهبي: «لينه ابن حزم» فيه نظر؛ لأن الذي لينه ابن حزم هو تلميذ الزهري، وقد روى عن ابن عباس ﷺ، وبكير بن مسمار – صاحب الزيادة- لم يذكره المزي في تهذيب الكمال ٤/٢٥١ فيمن روى عن ابن عباس، وبين وفاتيهما

٨٥ عاماً، ثم إن ابن حزم احتج في المحلى ١٨٥/٧ برواية بكير بن مسمار عن سالم، والله أعلم.

٤- وقول الذهبي: «فيه شيء» أظنه بناء على ما سبق.

٥- بقي لدينا:

أ- توثيق ابن حبان والعجلي.

ب- قول النسائي: لا بأس به.

ج- قول الحاكم: استشهد به مسلم في موضعين.

د- وتفصيل ابن عدي.

هـ- وأخيراً: قول ابن حجر: صدوق.

وهذا الاختلاف يفيد أن حديث بكير ليس في أعلى درجات الصحيح.

والخلاصة: أن سعيد بن المسيب متفق على ثقته، وبكير أدنى درجة منه؛ فحديث سعيد بن المسيب مقدم عليه حين المخالفة.

وهذا ما يومئ إليه أمران:

١- قول الحاكم: «استشهد به مسلم في موضعين». فمسلم لم يخرج رواية السب أصالة، وإنما متابعة.

٢- وصنيع مسلم مع روايات بكير بن مسلم كما سيأتي بيانه.

- ولم يتابع بكير بن مسمار على رواية السب أحدٌ؛ كما سيأتي.
- وسعيد بن المسيب طلب علو الإسناد فرواه عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه، وليس فيها رواية السب.
- والسند إلى سعيد بن المسيب أولى من السند إلى بكير بن مسمار.

فائدة: حديث الأمر بالسب ذكره ابن حجر في الوقوف على الموقوف ص١١٨ قال: «حديث آخر: حدثنا قتيبة بن سعيد ومحمد بن عباد قالا: أنا حاتم، عن بكير بن مسمار، عن عامر بن سعد بن أبي وقاص، عن أبيه قال: أمر معاوية بن أبي سفيان سعدا فقال: ما منعك أن تسب أبا تراب».

الثاني: من خلال تخريج الحديث من كتب السنة، وهو ما سأعالجه في المطلب التالي.

المطلب الثالث: تخريج الرواية من كتب السنة:

وسأقتصر في تخريج الحديث على رواية عامر بن سعد بن أبي وقاص، فأقول:

أولاً: تخريج الرواية بدون السب:

١- رواه عن عامر بن سعد: سعيد بن المسيب كما عند مسلم (٢٤٠٤) وغيره، مقتصراً على: أنت مني بمنزلة هارون من موسى...

٢- وتابعه الزهري كما عند الطبراني في المعجم الكبير ١٤٦/١ قال: حدثنا محمد بن عبد الله الحضرمي، حدثنا معمر بن بكار السعدي، حدثنا إبراهيم بن سعد، عن الزهري، عن عامر بن سعد، عن أبيه، أن النبي قال لعلي ﷺ: أنت مني بمنزلة هارون من موسى.

ورواه أيضاً من الطريق نفسه العقيلي في الضعفاء ٢٠٧/٤، وصدره بقوله: «معمر بن بكار السعدي في حديثه وهم، ولا يتابع على أكثره».

٣- وتابعه المنهال بن عمرو؛ كما عند ابن أبي عاصم في السنة (١٣٣٣)، وأبي يعلى ٣١٠/١٢، عن عامر بن سعد عن سعد وأم سلمة، أن النبي ﷺ قال: « أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي».

والمنهال بن عمرو صدوق ربما وهم كما في التقريب، ووافقه في هذه الرواية بكير بن مسمار أيضاً كما في السنة لابن أبي عاصم (١٣٣٤).

٤- وتابعه سعد بن إبراهيم؛ كما عند الشاشي ١٦٥/١، وأبي نعيم في حلية الأولياء ١٩٥/٧ من طريق عبد الملك بن الصباح المسمعي، حدثنا شعبة، عن سعد بن إبراهيم، عن عامر بن سعد عن أبيه، أن النبي ﷺ قال لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه في غزوة تبوك: «أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى».

قال أبو نعيم: «غريب من حديث شعبة من رواية عامر، تفرد به عبدالملك».

قلت: عبد الملك بن الصباح المسمعي صدوق كما في التقريب.

وغرابته من وجه أن الحديث محفوظ من رواية محمد بن جعفر غندر، حدثنا شعبة، عن سعد بن إبراهيم، سمعت إبراهيم بن سعد، عن سعد، عن النبي ﷺ أنه قال لعلي: «أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى».

فربما وهم المسمعي فجعله عن عامر بن سعد، بدلا من إبراهيم بن سعد، والله أعلم.

٥- وتابعه بكير بن مسمار؛ كما عند أحمد ١٨٥/١: من طريق حاتم بن إسماعيل، عن بكير بن مسمار، عن عامر بن سعد، عن أبيه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول. فذكر:

أ- أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى...

ب- حادثة يوم خيبر.

ج- وآية المباهلة.

وتابع حاتم بن إسماعيل عن بكير؛ علي بن ثابت الجزري؛ كما عند ابن عساكر في تاريخ مدينة دمشق ١١٣/٤٢، ولم يذكر آية المباهلة، وإنما قال: «نزل على رسول الله ﷺ الوحي فأدخل علياً وفاطمة وابنيهما تحت ثوبه قال: اللهم هؤلاء أهل بيتي».

وعلي بن ثابت الجزري صدوق ربما أخطأ، كما في التقريب.

ورواه الترمذي (٢٩٩٩) من طريق حاتم بن إسماعيل، عن بكير بن مسمار، عن عامر بن سعد، مقتصراً على آية المباهلة، وقال: «هذا حديث حسن صحيح».

ورواه البخاري في التاريخ الكبير ١١٥/٢ من طريق حاتم بن إسماعيل، عن بكير بن مسمار، عن عامر بن سعد، مقتصراً على حادثة خيبر.

٦- وتابعه المهاجر بن مسمار؛ كما عند الشاشي ١٦٥/١-١٦٦ من طريق: إبراهيم بن المهاجر بن مسمار، عن أبيه، عن عامر بن سعد بن أبي وقاص قال. فذكر:

أ- من كنت مولاه فعلي مولاه.

ب- أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى.

ج- حادثة خيبر.

قلت: قال العقيلي في الضعفاء العقيلي ٦٦/١: «حدثني آدم بن موسى قال: سمعت البخاري يقول: إبراهيم بن المهاجر بن مسمار المدني منكر الحديث».

الخلاصة: أن رواية عدم السب رواها عن عامر بن سعد:

١- سعيد بن المسيب.

٢- والزهري.

٣- والمنهال بن عمرو.

٤- وسعد بن إبراهيم.

٥- وبكير بن مسمار؛ المتفرد برواية السب.

٦- والمهاجر بن مسمار.

ثانياً: تخريج رواية السب:

تفرد برواية السب بكير بن مسمار عن عامر بن سعد، واضطربت الرواية عنه على وجوه:

١- روى الإمام مسلم (٢٤٠٤)، والترمذي (٣٧٢٤) من طريق: حاتم بن إسماعيل، عن بكير بن مسمار، عن عامر بن سعد بن أبي وقاص، عن أبيه قال: أمر معاوية بن أبي سفيان سعداً فقال: ما منعك أن تسب أبا التراب؟

ثم ذكر:

أ- أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى...

ب- حادثة يوم خيبر.

ج- وآية المباهلة.

قال الترمذي: «هذا حديث حسن صحيح غريب من هذا الوجه».

٢- وروى البزار ٣/٣٢٤ من طريق: عبدالكبير بن عبدالمجيد الحنفي قال: حدثنا بكير بن مسمار قال: سمعت عامر بن سعد يحدث قال: قال رجل لسعد: ما يمنعك أن تسب علياً؟

ثم ذكر:

أ- أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى...

ب- حادثة يوم خيبر.

ج- ولم يذكر آية المباهلة، وإنما قال: نزل عليه الوحي فأحنى عليه وعلى ابنته فاطمة وعلى ابنيه فأدخلهم تحت ثوبه ثم قال اللهم هؤلاء أهلي وأهل بيتي.

ثم قال البزار: «وهذا الحديث بهذا اللفظ فلا نعلم رواه إلا بكير بن مسمار عن عامر بن سعد عن أبيه».

٣- وروى الحاكم في المستدرك ٣/١١٧ من طريق: أبي بكر الحنفي، حدثنا بكير بن مسمار قال: سمعت عامر بن سعد يقول: قال معاوية لسعد بن أبي وقاص رضي الله عنهما: ما يمنعك أن تسب ابن أبي طالب؟

ثم ذكر:

أ- أما ترضى أن تكون مني بمنـــزلة هارون من موسى...

ب- حادثة يوم خيبر.

ج- ولم يذكر آية المباهلة، وإنما قال: نزل عليه الوحي فأخذ علياً وابنيه وفاطمة فأدخلهم تحت ثوبه ثم قال: رب إن هؤلاء أهل بيتي.

٤- روى النسائي في الكبرى ١٠٧/٥: من طريق حاتم، عن بكير بن مســـمار، عن عامر بن سعد بن أبي وقاص قال: أمر معاوية سعداً، فقال: ما منعك أن تسب أبا تراب؟

ثم ذكر:

أ- أما ترضى أن تكون مني بمنـــزلة هارون من موسى...

ب- حادثة يوم خيبر.

ج- ولم يذكر آية المباهلة، وإنما قـــال: ولمـــا نزلـــت: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ﴾ [الأحزاب:٣٣] دعا رسول الله ﷺ عليا وفاطمة وحسنا وحسينا فقال: اللهم يعني هؤلاء أهلي.

٥- وروى الدورقي في مسند سعد ص٥١ من طريق حاتم بن إسماعيل، عن بكير بن مسمار، عن عامر بن سعد بن أبي وقاص، عن أبيه قال: دخل سعد على رجـــل فقال: ما يمنعك أن تسب أبا فلان؟

ثم ذكر:

أ- أما ترضى أن تكون مني بمنـــزلة هارون من موسى.

ب- حادثة يوم خيبر.

ج- آية المباهلة.

الخلاصة:

١- أن هذه الرواية تفرد به بكير بن مسمار، وأشار إلى هذا التفرد:

أ- الترمذي (٣٧٢٤) بقوله: «هذا حديث حسن صحيح غريب من هذا الوجه».

ب- والبزار ٣/٣٢٤ بقوله: «وهذا الحديث بهذا اللفظ فلا نعلم رواه إلا بكير بن مسمار عن عامر بن سعد عن أبيه».

٢- اضطربت الرواية عنه من جوانب:

الجانب الأول: ذكر الأمر:

١- فعند الإمام مسلم (٢٤٠٤)، والترمذي (٣٧٢٤)، والنسائي في الكبرى ٥/١٠٧ ذكر الأمر بالسب صراحة.

٢- أما عند البزار ٣/٣٢٤ فلم يذكر الأمر، وإنما قال: قال رجل لسعد، وعند الحاكم ٣/١١٧ قال معاوية لسعد بن أبي وقاص رضي الله عنهما، وعند الدورقي ص٥١ قال: دخل سعد على رجل فقال.

الجانب الثاني: التصريح باسم معاوية ﷺ:

١- فعند الإمام مسلم (٢٤٠٤)، والترمذي (٣٧٢٤)، والنسائي في الكبرى ٥/١٠٧، والحاكم ٣/١١٧ صرح باسم معاوية ﷺ.

٢- أما عند البزار ٣/٣٢٤، والدورقي ص٥١ فلم يصرح باسم معاوية ﷺ.

الجانب الثالث: الاختلاف في ذكر الفضائل الثلاث:

١- فعند الإمام مسلم (٢٤٠٤)، والترمذي (٣٧٢٤)، والدورقي ص٥١ ذكر:

أ- أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى...

ب- حادثة يوم خيبر.

ج- وآية المباهلة.

٢- وعند البزار ٣/٣٢٤ الحاكم في المستدرك ٣/١١٧ ذكر:

أ- أما ترضى أن تكون مني بمنـــزلة هارون من موسى...

ب- حادثة يوم خيبر.

ج- ولم يذكر آية المباهلة، وإنما قال: نزل عليه الوحي فأحنى عليه وعلى ابنتـــه فاطمة وعلى ابنيه فأدخلهم تحت ثوبه ثم قال اللهم هؤلاء أهلي وأهل بيتي.

٣- وعند النسائي في الكبرى ٥/١٠٧ ذكر:

أ- أما ترضى أن تكون مني بمنـــزلة هارون من موسى...

ب- حادثة يوم خيبر.

ج- ولم يذكر آية المباهلة، وإنما قـــال: ولمـــا نزلـــت: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ﴾ [الأحزاب:٣٣] دعا رسول الله ﷺ عليا وفاطمة وحسنا وحسينا فقال: اللهم يعني هؤلاء أهلي.

تنبيه:

١- قال ابن حجر في الإصابة في تمييز الصـــحابة ٤/٥٦٨- ٥٦٩: «أخـــرج الترمذي بسند قوي عن عامر بن سعد بن أبي وقاص عن أبيه قال: أمر معاوية سعدا فقال له: ما يمنعك أن تسب أبا تراب؟..».

قلت: لا يلزم من تصحيح الإسناد صحة الرواية؛ فقول الحافظ: «بسند قوي» لم ينفي العلة، ولا الشذوذ، والرواية شاذة كما بينت هذه الدراسة.

المطلب الرابع: النتيجة:

يتضح من التخريج السابق:

١- مخالفة بكير بن مسمار لسعيد بن المسيب.

٢- اضطراب بكير بن مسمار في الراوية عن عامر بن سعد؛ فتارة يذكر رواية السب، وتارة لا يذكرها، فترجح راوية عدم السب لموافقتها رواية الأوثق؛ سعيد بن المسيب، والجمع؛ سعيد بن المسيب، والمنهال بن عمرو، والزهري، وغيرهم.

٣- واضطراب الرواية عن بكير بن مسمار في عد الثلاث على أوجه سبق ذكرها.

٤- واضطراب الرواية عن بكير بن مسمار في التصريح باسم معاوية على وجهين سبق ذكرهما.

٥- واضطراب الرواية عن بكير بن مسمار في الأمر بالسب على وجهين سبق ذكرهما.

٦- صحح بعض أهل العلم رواية بكير بدون الأمر بالسب، ومنهم الترمذي.

٧- أشار إلى علة زيادة الأمر بالسب البزار في مسنده، واستغربها الترمذي.

٨- صنيع مسلم يشير إلى شذوذ رواية بكير، وهذا ما سأبينه في المبحث التالي.

تأكيد فائدة، وزيادة عائدة:

قال ابن حجر في فتح الباري ٧/٧٤: «وهذا الحديث أعني حديث الباب دون الزيادة روي عن النبي ﷺ عن غير سعد من حديث عمر وعلي نفسه وأبي هريرة وابن عباس وجابر بن عبد الله والبراء وزيد بن أرقم وأبي سعيد وأنس وجابر بن سمرة وحبشي بن جنادة ومعاوية وأسماء بنت عميس وغيرهم، وقد استوعب طرقه ابن عساكر في ترجمة علي».

قلت: وقد عُدّ حديث: « أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى». من المتواتر؛ كما في نظم المتناثر ١/١٩٥.

المبحث الثاني

هل قصد الإمام مسلم التعليل؟

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: كلام الإمام مسلم النظري في العلل:

١- يقول الإمام مسلم في مقدمة صحيحه ص٤: «وإنما يرجى بعض المنفعة في الاستكثار من هذا الشأن، وجمع المكررات منه لخاصة من الناس ممن رزق فيه بعض التيقظ والمعرفة بأسبابه وعلله».

٢- ويقول ص٤: «نعمد إلى جملة ما أسند من الأخبار عن رسول الله ﷺ فنقسمها على ثلاثة أقسام وثلاث طبقات من الناس، على غير تكرار إلا أن يأتي موضع لا يستغنى فيه عن ترداد حديث فيه زيادة معنى، أو إسناد يقع إلى جنب إسناد لعلة تكون هناك».

٣- ثم قال ص٥: «فأما القسم الأول فإنا نتوخى أن نقدم الأخبار التي هي أسلم من العيوب من غيرها، وأنقى من أن يكون ناقلوها أهل استقامة في الحديث وإتقان لما نقلوا لم يوجد في روايتهم اختلاف شديد ولا تخليط فاحش، كما قد عثر فيه على كثير من المحدثين، وبان ذلك في حديثهم، فإذا نحن تقصينا أخبار هذا الصنف من الناس أتبعناها أخباراً يقع في أسانيدها بعض من ليس بالموصوف بالحفظ والإتقان كالصنف المقدم قبلهم».

٤- وقال ص٧: «وعلامة المنكر في حديث المحدث إذا ما عرضت روايته للحديث على رواية غيره من أهل الحفظ والرضا خالفت روايته روايتهم».

٥- وقال ص٧: «وستزيد إن شاء الله تعالى شرحاً وإيضاحاً في مواضع من الكتاب عند ذكر الأخبار المعللة إذا أتينا عليها في الأماكن التي يليق بها الشرح والإيضاح إن شاء الله تعالى».

٦- وقد مثل رحمه الله ص٦ لما قرره بقوله: «إذا وازنت بين الأقران كابن عون وأيوب السختياني مع عوف بن أبي جميلة وأشعث الحمراني وهما صاحبا الحسن وابن سيرين، كما أن ابن عون وأيوب صاحباهما إلا أن البون بينهما وبين هذين بعيد في كمال الفضل وصحة النقل، وإن كان عوف وأشعث غير مدفوعين عن صدق وأمانة عند أهل العلم، ولكن الحال ما وصفنا من المنزلة عند أهل العلم».

المطلب الثاني: تطبيقات الإمام مسلم في بيان الشذوذ:

أولاً: تطبيقات على روايات بكير بن مسمار:

وله عند الإمام مسلم روايتان متابعة:

الروايةالأولى:

وهي الرواية السابقة، التي كانت هذه الصفحات لبيان شذوذها.

الرواية الثانية:

قال الإمام مسلم (٢٤١٢): حدثنا عبد الله بن مسلمة بن قعنب، حدثنا سليمان يعني ابن بلال، عن يحيى وهو ابن سعيد، عن سعيد، عن سعد بن أبي وقاص قال: لقد جمع لي رسول الله ﷺ أبويه يوم أحد.

(٢٤١٢): حدثنا قتيبة بن سعيد وابن رمح، عن الليث بن سعد ح وحدثنا ابن المثنى، حدثنا عبد الوهاب كلاهما، عن يحيى بن سعيد بهذا الإسناد.

(٢٤١٢) حدثنا محمد بن عباد، حدثنا حاتم يعني ابن إسماعيل، عن بكير بن مسمار، عن عامر بن سعد، عن أبيه، أن النبي ﷺ جمع له أبويه يوم أحد. قال: كان رجل من المشركين قد أحرق المسلمين فقال له النبي ﷺ: «ارم فداك أبي وأمي» قال: فنزعت له بسهم ليس فيه نصل فأصبت جنبه فسقط فانكشفت عورته، فضحك رسول الله ﷺ حتى نظرت إلى نواجذه.

ويلاحظ أيضاً: أن بكير بن مسمار خالف الرواية الأصل في السياق، وقد ذكره الإمام مسلم متابعة لا أصلاً، والله أعلم.

ثانياً: تطبيقات على غير روايات بكير بن مسمار:

سأقتصر هاهنا على مثالين:

المثال الأول: حديث رجم ماعز ﷺ:

قال الإمام مسلم (١٦٩٥): حدثنا محمد بن العلاء الهمداني، حدثنا يحيى بن يعلى وهو ابن الحارث المحاربي، عن غيلان وهو ابن جامع المحاربي، عن علقمة بن مرثد، عن سليمان بن بريدة، عن أبيه قال: جاء ماعز بن مالك إلى النبي ﷺ.

وفيه: فأمر به فرجم.

ثم قال (١٦٩٥) وحدثنا أبو بكر بن أبي شيبة، حدثنا عبد الله بن نمير ح وحدثنا محمد بن عبد الله بن نمير وتقاربا في لفظ الحديث، حدثنا أبي حدثنا بشير بن المهاجر، حدثنا عبد الله بن بريدة، عن أبيه، أن ماعز بن مالك الأسلمي أتى رسول الله ﷺ.

وفيه: فلما كان الرابعة حفر له حفرة ثم أمر به فرجم.

قال ابن القيم في تهذيب سنن أبي داود ١٢/٧٥-٧٦: «وهذا الحديث فيه أمران سائر طرق حديث مالك تدل على خلافهما:

أحدهما: أن الإقرار منه وترديد النبي ﷺ كان في مجالس متعددة، وسائر الأحاديث تدل على أن ذلك كان في مجلس واحد.

الثاني: ذكر الحفر فيه، والصحيح في حديثه أنه لم يحفر له، والحفر وهم، ويدل عليه أنه هرب وتبعوه.

وهذا، والله أعلم، من سوء حفظ بشير بن مهاجر».

المثال الثاني: حديث أبي هريرة ﷺ: لا يشربن أحد منكم قائماً فمن نسي فليستقئ:

ذكر الإمام مسلم (٢٠٢٤، ٢٠٢٥) حديثي أنس وأبي سعيد الخدري رضي الله عنهما، أن النبي ﷺ زجر عن الشرب قائماً.

وساق طرق هذين الحديثين، وجعلهما أصلاً، ثم ساق شاهداً؛ فقال (٢٠٢٦) حدثني عبد الجبار بن العلاء، حدثنا مروان يعني الفزاري، حدثنا عمر بن حمزة، أخبرني أبو غطفان المري، أنه سمع أبا هريرة يقول: قال رسول الله ﷺ: «لا يشربن أحد منكم قائماً، فمن نسي فليستقئ».

قال الألباني رحمه الله في سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة ٣٢٦/٢: «وعمر هذا، وإن احتج به مسلم، فقد ضعفه الإمام أحمد وابن معين والنسائي وغيرهم، ولذلك أورده الذهبي في الميزان وذكره في الضعفاء وقال: ضعفه ابن معين لنكارة حديثه، وقال الحافظ في التقريب: ضعيف».

ثم قال: «وقد صح النهي عن الشرب قائماً في غير ما حديث، عن غير واحد من الصحابة، ومنهم أبوهريرة، لكن بغير هذا اللفظ، وفيه الأمر بالاستقاء، لكن ليس فيه ذكر النسيان، فهذا هو المستنكر من الحديث، وإلا فسائره محفوظ».

قلت: وهذان الحديثان يدلان على منهج الإمام مسلم في بيان العلة، والله أعلم.

المطلب الثالث: النتيجة:

فهذه الجمل من كلام الإمام مسلم رحمه الله تؤيد ما ذهبت إليه من أن الإمام مسلم يعلم أن رواية بكير شاذة، وتفنن في الصناعة الحديثية ملمحاً من غير تصريح.

وشفعتها بأمثلة تطبيقية لتعلم اتساق كلام الإمام مسلم مع تطبيقاته؛ لتصل إلى برد يقين بأن هذا منهج الإمام مسلم.

ويزيد هذا الكلام تأييداً أن الإمام مسلم عرض كتابه الصحيح على إمام من أئمة العلل؛ وهو أبو زرعة الرازي، حيث نقل ابن الصلاح في كتابه صيانة صحيح مسلم ٦٧/١ قول الإمام مسلم: «عرضت كتابي هذا المسند على أبي زرعة الرازي، فكل ما أشار أن له علة تركته، وكل ما قال إنه صحيح وليس له علة أخرجته».

وهاهنا احتمالان:

الأول: أن يكون الإمام أبو زرعة وقف على هذه العلل، إلا أنه لم يتكلم عليها؛ لأن تلك الطريقة كانت مستفيضة عندهم في التصنيف، فأغنت شهرة المنهج العام عند المحدثين عن التصريح بالعلة.

الثاني: أن يكون الإمام أبو زرعة لم يقف على هذه العلل، وهذا مستبعد؛ لأن الإمام مسلم دفع كتابه إلى من يثق بعلمه وصنعته الحديثية، وقد ذكر الإمام مسلم في كلامه أن ما أشار أبو زرعة أن له علة تركه، وكل ما قال إنه صحيح وليس له علة أخرجه.

وتجدر الإشارة، أن هذا المبحث هو من باب التمثيل، لا الاستقراء، وإلا فتمام الاستقراء يحتاج إلى تبييض مئات الصفحات، والله أعلم وأحكم.

المبحث الثالث

تتمة في الباب ذاته

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: الحديث الأول:

قال الإمام مسلم (٢٤٠٩): حدثنا قتيبة بن سعيد، حدثنا عبد العزيز يعني ابن أبي حازم، عن أبي حازم، عن سهل بن سعد قال: استعمل على المدينة رجل من آل مروان قال: فدعا سهل بن سعد فأمره أن يشتم علياً. قال: فأبى سهل، فقال له: أما إذ أبيت، فقل: لعن الله أبا التراب، فقال سهل: ما كان لعلي اسم أحب إليه من أبي التراب، وإن كان ليفرح إذا دعي بها، فقال له: أخبرنا عن قصته؛ لم سمي أبا تراب؟ قال: جاء رسول الله ﷺ بيت فاطمة فلم يجد علياً في البيت، فقال: أين ابن عمك؟ فقالت: كان بيني وبينه شيء فغاضبني، فخرج فلم يقل عندي، فقال رسول الله ﷺ لإنسان: انظر أين هو؟ فجاء فقال: يا رسول الله هو في المسجد راقد، فجاءه رسول الله ﷺ وهو مضطجع، قد سقط رداؤه عن شقه، فأصابه تراب، فجعل رسول الله ﷺ يمسحه عنه ويقول: «قم أبا التراب قم أبا التراب».

قلت: و لم يسم هذا الوالي، فحمله على أنه معاوية ﷺ يحتاج إلى دليل خاص، بل هذا الحمل بعيد؛ لأن معاوية ﷺ لم يتول إمرة المدينة.

وانظر الذين تولوا إمرة المدينة في التحفة اللطيفة ١/٢٩ فما بعد.

المطلب الثاني: الحديث الثاني:

قال ابن ماجه (١٢١): حدثنا علي بن محمد، حدثنا أبو معاوية، حدثنا موسى بن مسلم، عن ابن سابط وهو عبد الرحمن، عن سعد بن أبي وقاص قال: قدم معاوية في بعض حجاته، فدخل عليه سعد فذكروا علياً، فنال منه فغضب سعد وقال: تقول هذا لرجل سمعت رسول الله ﷺ يقول: من كنت مولاه فعلي مولاه.

وسمعته يقول: أنت مني بمنـــزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي.

وسمعته يقول: لأعطين الراية اليوم رجلاً يحب الله ورسوله.

قلت: جزم ابن معين أن عبدالرحمن بن سابط لم يسمع من سعد بن أبي وقاص ﷺ؛ كما في المراسيل لابن أبي حاتم ص١٢٨، وتحفة التحصيل في ذكر رواة المراسيل ص١٩٧.

فالحديث مرسل؛ وإن سلم من الإرسال، فألفاظ الحديث ليس فيها الســـب أو الأمر بالسب، والله أعلم.

المطلب الثالث: الحديث الثالث:

قال ابن أبي الدنيا في كتاب الإشراف في منازل الأشـــراف (٤١٦): حـــدثنا عبدالرحمن بن صالح قال: حدثنا أبو بكر بن عياش، عن عاصم قال: لما قدم معاويـــة عرض الناس على سب علي، فعرض على مالك بن حبيب اليربوعي فقال مالـــك: لا نعصي أحياءكم ولا نسب أمواتكم.

قلت: والاتجاه العقدي في هذا الأثر واضح جداً؛ فعبد الرحمن بن صالح صدوق يتشيع، كما في التقريب.

ويؤيد ذلك ما جاء في الكامل في ضعفاء الرجال لابن عـــدي ٣٢٠/٤: قـــال موسى بن هارون الحمال: عبد الرحمن بن صالح شيعي محترق، حرقت عامة ما سمعت منه، يروي أحاديث سوء في مثالب أصحاب رسول الله ﷺ.

ثم نقل توثيق ابن معين له.

ثم قال: وعبد الرحمن بن صالح معروف مشهور في الكوفيين، لم يذكر بالضعف في الحديث، ولا اتهم فيه، إلا أنه كان محترقاً فيما كان فيه من التشيع. أ.هـــ.

الخـــاتمة

الحمد لله الذي وفق وسدد، وستر العيب ومهد، والصلاة والسلام على محمد، وعلى آله وأصحابه ذوي الفضل والسؤدد، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم المورد.

وبعد:

فبعد العيش مع البحث لحظات – أسأل الله العلي القدير أن يجعلـــها ثقيلـــة في الميزان – لابد من ذكر جملة من الفوائد المستقاة من رموز البحث، فأقول:

١– بردُ اليقين بأن الإمام مسلم على دراية بما في صحيحه من أحاديث معللـــة، إن لم أقل دراية كلية؛ فأغلبية.

٢– إننا بحاجة لدراسة متأنية حول مناهج الأئمة في العلل.

٣– إن قولنا: الحديث الفلاني ضعيف أو شاذ، ..، بعد دراسته على ضوء قواعد أهل العلم، لا يعني ذلك أننا ننتقص أو نستدرك على إمام عظيم كمسلم؛ وإنما عملنا هو توضيح لصنعة الإمام في كتابه.

٤– ومن النتائج الخاصة: أن حديث الأمر بالسب شاذ؛ بحكم الإمام مسلم رحمه الله.

٥– إن مثل هذه الدراسات تبرز أهمية مناهج المحدثين، ودقتـــهم في الترتيـــب والتبويب.

٦– إن إيضاح مناهج يستلزم الاستقراء التام، وعلى مقولة: **سطر في شهر**؛ فقد يستغرق الاستقراء أياماً طويلة للوصول إلى نتيجة نهائية تسطر في كلمات يسيرة.

٧– وهذا يقودنا إلى مسألة مهمة؛ وهي الاستفادة مـــن جهـــود الآخـــرين في المضمار، وعدم تسفيه رأيهم المبني على الاستقراء، لأننا حينئذ نسفه سطراً، ونـــدع التعب شهراً.

٨- ومما يمكن اقتراحه هاهنا؛ هو التخصص بدراسات جزئية عن أئمة الحديث؛ كالعلل، ونقد الرجال، بل يمكن التخصص بنوع خاص من العلل؛ كالشاذ والمنكر ونحوه.

والتخصص مظنة الإحاطة والإبداع، وعلائق عصرنا وعوائقه تدعو للتخصص.

وفي الختام:أسأل الله السميع العليم أن يكتب الأجر، ويتجاوز عن الوزر؛ إنه سميع مجيب.

تمت والحمد لله لمن آلاءه جلت، والصلاة والسلام على من به دائرة الرسل ختمت.

حرره

أبو اليمان الرقي

لخمس مضين من محرم ١٤٣٢هـ